

المبحث الثامن : آثار الحرية على النشاط الإنساني:

لاشك أن مبدأ الحرية كان له أثر بالغ على نشاط الإنسان ، وهذا الأثر يكون إيجابياً أو سلبياً ، تبعاً لمدى تطبيق هذا المبدأ ، وقد أثرت الحريات على المجالات التالية :

أولاً : إدراك العقيدة الصحيحة : إذا كان الإنسان حراً يستطيع أن يفكر ويصل إلى النهاية المرضية إذ يكون حراً في تدينه وتفكيره يميز بين الأدلة ويعتمد على الأدلة الصحيحة وي طرح الأدلة الخاطئة حتى يصل إلى الصواب ليحيا الإنسان الحياة الكريمة العزيزة منسجماً مع معتقده ودينه وخاصة إذا كان الدين هو الحق الثابت المنزل من الله تعالى المحفوظ من التحريف والتبديل المنسجم مع الفطرة والدافع والتصوير الصحيح عن الكون والحياة والإنسان " نعم إنه سبيل حق وعقيدة صحيحة ينعم بها الإنسان دنيا وآخري ولقد رأينا عندما طبق المسلمون هذا المبدأ ألا وهو حرية العقيدة دخل الناس في دين الله أفواجاً فلم يتوانوا في إتباع العقيدة الصحيحة وبلغ الإسلام في ذلك شأنًا عظيمًا ونزلة رفيعة لأن صاحب الحق لا يرى الضير في التعرف على الباطل وصاحب الباطل يخاف من سماع الحق فلما علم الناس أن ما هم عليه باطل وأن الدين الحق هو دين الإسلام تركوا ما هم عليه واتبعوا الإسلام ، فإذا دخل الإنسان الإسلام ورأى ما فيه من حرية فسوف يختلف منهجه في الحياة عما كان عليه قبل الإسلام وذلك لأن "الحرية والحق عمومًا في الشرعية الإسلامية تكليف قبل كل شيء وأنه الفعل والترك بغية الامتثال إنه العبادة إنه التخلص من الرغب والرهب إلا في الله إنه يتطلب ليس فقط عدم الإضرار بالآخرين وإنما العمل على نفعهم أيضًا إن الإنسان حين تصح إرادته وقدرته وحرية على هذا النحو يبذل كل شيء حتى ذاته وعن رضى لتكون كلمة الله هي العليا ، لذا لا تعجب أن ترى القرآن، قد أمر بتحقيق هذه الحرية في كثير من الآيات لأن الله سبحانه وتعالى يعلم بأن الإنسان العاقل الذي يحكم عقله ويمعن التفكير لا بد أن يصل إلى هذه العقيدة أما الرجل الذي ليس به عقل أو عطل عقله فإما أن يبقى على هذا فلا خير فيه وإما أن يدرك الحق ويتبع العقيدة الصحيحة فينعم بها.

ثانياً: تصويب الآراء: هذا الأثر ناتج من تحقي حرية الرأي ويعتمد أكثر ما يعتم على مبدأ الشورى التي هي نوع من أنواع حرية التعبير عن الرأي. "والشورى هي الطريقة الصحيحة

المحاضرة الخامسة

لمعرفة أصوب الآراء والوصول إلى الحقيقة وجلاء الأمر وهي أثر طبيعي لاحترام العقل، "والشورى سبيل لمعرفة الرأي الصواب عن طريق مناقشة الآراء وظهور أفضلها وهي سبب لقلّة الخطأ وبها يستفاد من جهود الآخرين وخبراته وهي عصمة لولي الأمر من الإقدام على أمور تضر الأمة ولا يشعر هو بضررها"، والفائدة من الشورى الإطلاع على رأي وجيه وتلقيب وجهات النظر في الموضوع والانتباه على مختلف الجوانب والأدلة والأحكام التي يتفطن لها الجماعة أكثر من الواحد، فإذا ناقش مجموعة من الناس مسألة ما وأبدى كل واحد رأيه واعتراضه على آراء غيره فإنهم لا شك أنهم سيخلصون إلى رأي واحد متفق عليه بعيداً عن الخطأ وهذا إذا كان مقصود سعيهم ومنشود إرادتهم الوصول على الصواب، فمريد الصواب يصله بتقليب الآراء وتحقيق مبدأ الشورى وليس بالاستبداد بالأمر والدكتاتورية المقيتة.

ثالثاً: تحقيق الرغبات: للإنسان في حياته رغبات عديدة هذه الرغبات منها الجسمية ومنها الفكرية ومنها السياسية غيرها من الرغبات، فالإنسان الحر هو الذي يستطيع أن يشبع رغباته هذه بتحقيقها، أما المستعبد المكروه والمغلوب على أمره فإنه يحس دائماً بالضعف والظلم ويكون ناقماً على مجتمعه، وأما تحقيق الرغبات فهي من حقوق الإنسان بل من أجلها إذ يشعر الإنسان بالراحة والطمأنينة لأنه "من فوائد الشورى إطلاع الحاكم بآمال قومه ومطامحهم وأفكارهم ، إن كفاحك لتكون حراً يعني نشدان إزالة العوائق وإن نضالك من أجل حريتك الشخصية يعني نشدان للجم التدخل والاستغلال والاستعباد لك من قبل أناس غاياتهم غايات خاصة بهم وليست غاياتك بتاتاً"

رابعاً: بناء الحضارات: تقاس الأمم بمقدار ما قدمته للمجتمع الإنساني من إبداع وتطور حضاري الذي يساعد على سعادة البشرية فهناك الحضارة اليونانية والحضارة الفارسية والحضارة الصينية والحضارة الإسلامية لم تقم كل هذه الحضارات لو اتصفت بالاستعباد والتسلط والقهر ولكنها اتصفت بالحرية التسامح فقامت فلما ذهبت هذه الصفة ورجعت إلى القهر والظلم زالت ، فتأريخ الإنسان مرتبط بتأريخ الحرية حيث تتفتح الملكات ويزدهر العلم ويعلو مستوى الثقافة والمجتمع وتقوم الحضارات الراقية وحين تلمس آثار الحرية والتقدم، هكذا للحرية دور في تتطور المجتمع وقيام حضارته وهذا شاهد عبر القرون وبالنظر إلى تأريخ الحضارات فإذا فتح المجال أمام العقول للنظر والفكر أبدعت وإذا سلبت هذه القدرة

المحاضرة الخامسة

تخلفت وتقهقرت وسارت للوراء حتى تسقط في هاوية سحيقة في هاوية التخلف والجهل والدمار فتقدم الحضارات يحتاج على عمل والعمل يحتاج على حرية وحرية العمل هي التي تساعد على هذا التقدم "لأن العمل هو سبيل تقدم الدول وأساس بناء الحضارات وسبيل لرفاهية المجتمع وازدهاره لذلك اهتمت النظم جميعها بحرية العمل، ومن ناحية أخرى فإن للحرية يدًا طولى في تحقيق الرفاهية للشعوب التي بدورها تساعد على الإبداع بتوفير الأدوات والسبل التي تعين لتحقيق ذلك "وكانت الحرية هي التي أنارت طريق البشرية في كفاحها الطويل المستمر من أجل تحقيق المزيد م الرفاهية والتقدم فلا مجال للإبداع بدون حرية ولا قيمة للتقدم بدون تحقيق المزيد من الحرية"

خامساً: الاجتهاد في العمل: إذا وجد الإنسان نفسه أنه حر في تصرفاته ليس عليه جبر أو قسر أحد فإنه يؤدي به إلى الاجتهاد حتى يصل إلى غايته التي ينشدها والتي تحقق الراحة والطمأنينة له وللمجتمع الإنساني ككل، فإذا اجتهد أخلص وإذا أخلص أبداع وإذا أبداع قامت الحضارة وتطورت الأمة واستفادت البشرية ونعمت بهذا الإبداع وهذه اليد التي عملت بكل تفران وبكل إخلاص، أم الرجل المقهور الذي لا يعمل إلا إذا أجبر وإذا ذهب الرقيب عنه يتكاسل وذلك لأنه يحس بأن هذا العمل لا يعود بالفائدة له فلا يهتم به فلماذا يشقى وينعم بشقائه غيره، ولماذا يظل تحت قهر هذا الشخص الآخر الذي تسلط عليه وسلب حريته وبعد ذلك تنشر هذه الأفكار في المجتمع وينتشر الكسل والخمول والرذائل عمومًا والبحث عن المصدر السهل للمال وتظهر الأنانية ويختل الأمن وتزول الحرية عمومًا "لأنه لأن يكون الإنسان حرًا لا بد أن يضطلع بعمل يؤديه أداء القادر الماهر العارف بأسرار مهنته وهو حر بمقدار ما يكون في سعيه أن يسيطر على سادة عمله ذلك لأنه بهذه السيطرة يتصرف على هدى من المعرفة تصرفًا مؤديًا به إلى تحقيق غايته أما غير الحر فلا يعرف أنه يقف أمام وقائع الحياة فاعرًا فاه من ذهول التائه الذي ضل الطريق"

سادساً: تحقيق تكريم الله للإنسان: لقد كرم الله الإنسان عن سائر الخلق قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء: ٧٠)، وقد خلق الله تعالى هذا الكون ليسخره للإنسان ومن أجل أن يعود بالنفع إليه وهناك الكثير من الآيات القرآنية التي تتكلم عن هذا التسخير. ومن ضمن ما

المحاضرة الخامسة

كرم الله به الإنسان العقل الذي لا يوجد في سائر الحيوان وهذا العقل هو الذي يميز الخير من الشر وأمره باختيار الطريق المناسب له، وحدد له مصي ركل مسلكه يسلكه فجعل الحجر والقسر على الإنسان ومنعه من سلوك الطريق الذي يراه مناسباً له ومنعه من تحقيق رغباته منافياً للعقل فالحرية تحقق هذا التكريم الذي كرم الله به الإنسان .

سابعاً: تأليف القلوب وتحقيق الوحدة الإنسانية: هذا الأثر تسببه الشورى فإذا علم جميع الأفراد أن لهم الحق في اختيار يرغبون فيه وأن لهم الحق في إبداء رأيهم ومناقشة آراء الآخرين فسوف تتآلف قلوبهم وتتحقق الوحدة الإنسانية إذ أن فوائد الشورى "أنها العامل الأول لنسج أواصر الألفة والمحبة بين الأمة وقاداتها وتذكر الإمام والمسلمين بنوع العلاقة بينهم في منظور الشرع ، "وترجع أهمية الشورى إلى أنها تؤلف قلوب الجماعة .